

أهمية الفكر المقاصدي في ترجمة القصص القرآني

عبد العزيز جابا الله – محجوبة البفور

مختبر الترجمة وتكامل المعارف

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة القاضي عياض – مراكش

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان أهمية الفكر المقاصدي لدى مترجم القرآن الكريم عامة والقصص القرآني خاصة، وذلك بالحديث أولاً عن تعريف المقاصد، ونشأة هذا العلم وأهم رواده، مخصصاً الحديث بعد ذلك في مقاصد القصص القرآني، ومستحضراً في النهاية أمثلة تطبيقية من ترجمة عبد الله يوسف علي لمعاني القرآن الكريم تجلّى فيها ضياع المقصد والحكمة من الآية، وأخرى حافظت عليه.

الكلمات الدالة: ترجمة، القرآن الكريم، القصص القرآني، يوسف علي، الفكر المقاصدي

Abstract

This research aims to clarify the importance of the finality of translating the Holy Quran in general and its stories. To do so, we will start by defining the finality, the emergence of this science, and the most important pioneers. To be more specific, I will be tackling the purposes of the Quranic stories. At the end, I will work on some examples from the translation of Abdullah Yusuf Ali of the Holy Quran which reveal the loss of the finality and the wisdom of the verse; I where as some examples still maintain the finality meant by the story.

Key Words: Translation, Holy Qur'an, Qur'anic Stories, Yusuf Ali, Finality of Translating

مقدمة:

تعتبر العلوم الشرعية من الشروط الأساسية والضرورية لترجمة معاني القرآن الكريم، فبدونها لا يستقيم فهمه بله ترجمته، ولا شك أن مقاصد الشريعة الإسلامية من أهم تلك العلوم، والتي ينبغي التفقه فيها واستحضارها في الترجمة. ولعل كثيراً من المزالق والأخطاء التي لحقت ببعض الترجمات كان سببها غياب حضور الفكر المقاصدي لدى المترجم.

ويسعى هذا المقال "أهمية الفكر المقاصدي في ترجمة القصص القرآني" إلى تبيان أهمية علم المقاصد في ترجمة القصص القرآني بوصفه جزءاً لا يتجزأ من القرآن الكريم، وكذا إبراز مدى حاجة المترجم إلى فكر مقاصدي في فعله الترجمي، ونعني بالفكر المقاصدي "الإمكانات العلمية المتصلة بمقاصد الشريعة التي يتوصل بها في فقهاها، تفسيراً لنصوصها وتعليلاً لأحكامها واستدلالاً عليها"¹.

وقد انتظم المقال في مبحثين: أولهما تناول مقاصد القصص القرآني، وتضمن مطلبين: خصص الأول للبحث في مفهوم المقاصد الشرعية، من حيث التعريف، والنشأة، والأعلام، وعقد الثاني للبحث في مقاصد القصص القرآني. أما ثاني المبحثين فاهتم بالجانب التطبيقي، حيث احتوى على مطلبين: أولهما اختص بالحديث عن أنواع مقاصد القصص القرآني وعلاقتها بالترجمة، وثانيهما: انفرد بدراسة نماذج من ترجمة عبد الله يوسف علي للقصص القرآني.

1- مقاصد القصص القرآني:

يعد البحث في مقاصد القصص القرآني جزءاً لا يتجزأ من مقاصد القرآن الكريم، ومن ثم كان لزاماً على الباحث في مقاصد القصص القرآني الإمام بعلم المقاصد الشرعية؛ من حيث مفهومها وأقسامها وأنواعها، وآليات وضوابط استخراجها في آي القرآن؛ ولذلك ستحدث في هذا المبحث عن مفهوم مقاصد الشريعة، أولاً وعن مقاصد القصص القرآني ثانياً.

أ- مفهوم مقاصد الشريعة:

يحدد علال الفاسي (ت. 1974م) مفهوم "مقاصد الشريعة" بقوله: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"²، ويعرفها الريسوني بقوله: "إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"³، فالمقاصد الشرعية -إذن- هي الحكمة من كل أمر أو نهي كيفما كانت درجتهما، خفية كانت أو ظاهرة. وفي السياق نفسه تستعمل مصطلحات أخرى للتعبير عن مقاصد الشريعة وما يندرج ضمنها؛ وهي العلة والعلل، والحكمة والمصلحة، والمعنى والمغزى، ومراد الشرع، وأسرار الشريعة وغيرها⁴، لكن أليس هناك تعريف محدد لمقاصد الشريعة قبل علال الفاسي؟

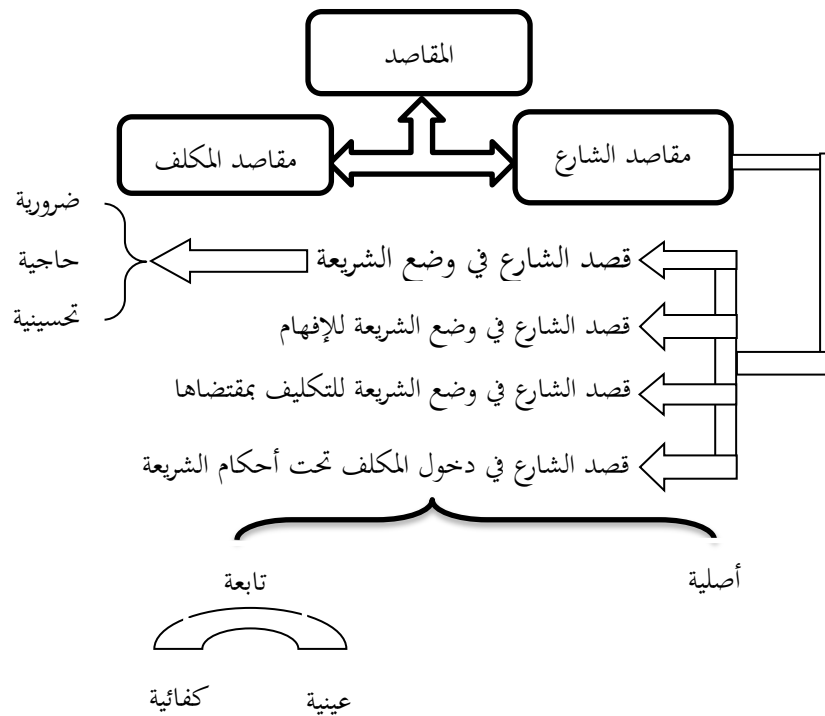
إن الجواب على هذا السؤال - حسب ما اطلعنا عليه - يكاد يكون بالنفي عند معظم الباحثين في مقاصد الشريعة، ذلك أن أبا إسحاق الشاطبي (ت. 790هـ)؛ وهو "خير من خاض لجحها، وخير من قدم لنا دررها، وجنى لنا ثمرها"⁵، لم يضع تعريفاً محدداً لها. أما الطاهر بن عاشور - بوصفه رائد المحدثين إلى جانب علال الفاسي، وممن استأنفوا الحديث في موضوع المقاصد⁶ - فلم يعط تعريفاً محدداً لمقاصد الشريعة، وإنما قسم المقاصد إلى قسمين: مقاصد الشرع، ومقاصد للناس في تصرفاتهم، ثم قسم مقاصد الشرع إلى نوعين، مقاصد عامة ومقاصد خاصة، وعرف كلا منهما، وذكر لهما أمثلة⁷، وسيأتي تفصيلها لاحقاً.

ولا يفهم مما سلف أن مقاصد الشريعة لا وجود لها قبل الشاطبي سواء من حيث التنظير أو التطبيق، بل إن "معرفتها ومراعاتها، ليست شيئاً اكتشفه اللاحقون أو ابتكره المتأخرون، بل هو من صميم الدين. بل هو صميمه، من أول يوم ومن أول فهم، والقرآن الكريم والسنة النبوية هما أول مصرح بمقاصد الشريعة وأول منبه على أمثلتها ونماذجها الإجمالية والتطبيقية"⁸، وقد بحث فيها - فضلاً عن ذلك - فقهاء وأصوليون قبل الشاطبي، نذكر منهم: الترميذي الحكيم (ق. 3هـ)، وأبا بكر الماتريدي (ت. 333هـ)، وأبا بكر الشاشي الففال (ت. 365هـ)، وأبا بكر الأجهري (ت. 375هـ)، وأبا بكر الباقلاني (ت. 404هـ)، وإمام الحرمين أبا المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت. 478هـ)، وأبا حامد الغزالي (ت. 505هـ)، وفخر الدين الرازي (ت. 606هـ)، وسيف الدين الأمدي (ت. 631هـ)، وابن الحاجب (ت. 664هـ)، والبيضاوي (ت. 685هـ)، وعز الدين بن عبد السلام (ت. 660هـ)، وابن تيمية (ت. 728هـ)، وابن السبكي (ت. 771هـ)، والأسنوي (ت. 772هـ)...⁹

وقد استفاد الشاطبي من سابقه واجتهد فأبدع، آية ذلك كتابه الذي سماه "الموافقات"، وتحديد الجزء الثاني منه المسمى بـ "كتاب المقاصد"، والذي اتضحت فيه معالم هذا العلم، "فأصبحت بهذا شيئاً ظاهراً للعيان، لا يسع أحداً إغفاله، ولا نسيانه، ولا التقليل من شأنه بينما كانت من قبل ظاهرة خفية، لا يكاد يلتفت إليها إلا كبار العلماء، والراسخون في الشريعة وعلومها، وحتى هؤلاء، فإنما أدركوا ذلك لأنفسهم، واستناروا به في علمهم واجتهاداتهم، ولم يخرجوا للناس - إخراجاً واضحاً صريحاً - إلا مبادئ موجزة، وتنبيهات متفرقة"¹⁰.

كما أدرك الشاطبي أنه "ما لم تتم العناية بمقاصد المكلف، فستظل مقاصد الشارع حبرا على ورق، أو فكرة في أذهان العلماء (...). فقصد الفاعل في فعله، يجعل عمله صحيحاً أو باطلاً"¹¹، ولذلك قسم البحث في المقاصد إلى قسمين: الأول مقاصد الشارع والثاني مقاصد المكلف، أما الأول فجعله أربعة أنواع، أولهما: بيان قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداءً، ويضم ثلاثة أنواع من المقاصد: ضرورة وحاجية وتحسينية. ويعني بالضرورة "أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة"¹²، ويعني بالحاجية "أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب"¹³. أما التحسينية فيقصد بها "الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المندسات التي تأنفها العقول

الراجحات" ¹⁴. وثاني تلك الأنواع الأربعة: بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام، والثالث: بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للتكليف بمقتضاها، أما الرابع فبيان قصد الشارع في دخول المكلف تحت أحكام الشريعة. ويذكر الشاطبي في هذا النوع الرابع أن مقاصد الشريعة نوعان: أصلية وتابعة، والأصلية "هي التي لا حظ فيها للمكلف، وهي الضروريات المعتبرة في كل ملة (..) لكنها تنقسم إلى ضرورة عينية، وضرورة كفائية" ¹⁵، أما التابعة: "فهي التي روعي فيها حظ للمكلف، فمن جهتها يحصل له مقتضى ما جبل عليه من نيل الشهوات، والاستمتاع بالمباحات، وسد الخَلَّات" ¹⁶. ويمكن تبين هذه الأقسام وما يتفرع عنها في الخطاطة الآتية:



ولتشعب أقسام المقاصد الشرعية وأنواعها وكثرتها حري بنا أن نعرض لأقسام المقاصد وتعريفها عند الطاهر بن عاشور، فقد قسم المقاصد الشرعية إلى قسمين: مقاصد التشريع العامة ومقاصد التشريع الخاصة، يقول معرفاً الأولى: "مقاصد التشريع العامة هي: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة" ¹⁷، أما الخاصة: "فهي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة" ¹⁸.

ورغم أن علم المقاصد متأصل في الشريعة الإسلامية؛ في القرآن الكريم والسنة، وفي اجتهادات القدماء والمحدثين على السواء، إلا أن للشاطبي القدح المعلن في تقريب هذا العلم إلى الأفهام. وإذا كان القرآن الكريم المصدر الأول للشريعة الإسلامية فليس بدعاً أن يكون المصدر الأول لمقاصدها، ومن ثمة لا مناص من استحضار البعد المقاصدي عند التفكير في معاني القرآن الكريم؛ وإن اختلفت الأهداف وجهات البحث فيه. وقد أدرك

بعض المفسرين المعاصرين أهمية هذا البعد فعملوا به في تفاسيرهم للقرآن الكريم، وبالمقابل فإن استخراج مقاصد أي القرآن يستدعي عملاً تأويلياً لتلك الآيات.

ب- مقاصد القصص القرآني: قصة آدم وإبليس أنموذجاً

يتفق أهل الأرض جميعاً ممن يدينون بالإسلام أن القرآن الكريم هو أول مصادر التشريع وأصوله، ومن ثم كان من الطبيعي أن يكون المصدر الأول لمقاصد الشارع، بل "إن الفرق بين ما في القرآن من مقاصد وما في الشريعة أن القرآن جاء بها على هيئة أصول وقواعد، أما ما جاء في السنة والاجتهاد، فهو على شكل شرح وبيان لما في القرآن"¹⁹، وهي دعوة لإعمال العقل الإنساني لتأمل آياته وتدبرها لاستخراج مقاصدها، والاستعانة بها في فهم مراد الله من أي قرآنه.

إن المقصد العام من القرآن الكريم كما يذكره صاحب التحرير والتنوير هو: أن "القرآن أنزله الله تعالى كتاباً لصالح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم (...) ولا يصلح الكل إلا بصالح أجزائه (...) فمراد الله من كتابه هو بيان تصارييف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين"²⁰. ومن هذا المنطلق عرف عبد الكريم حامدي مفهوم مقاصد القرآن، بقوله: "مقاصد القرآن هي الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد"²¹، ويعني بالغايات المعاني والحكم المقصودة من إنزال القرآن، ويشمل باعتباره مصدراً أولاً للتشريع أنواع المقاصد الثلاثة العامة والخاصة والجزئية، الهدف من تلك الغايات تحقيق مصالح العباد في الآجل والعاجل.²²

وقد ضمن الله عز وجل القرآن الكريم قصص الأنبياء والرسل، والأمم الغابرة، الماضية والمستقبلية، والقصد العام منها كما يقول الشاطبي: "تسلية لمحمد عليه الصلاة والسلام، وتثبيت لفؤاده لما كان يلقي من عناد الكفار وتكذيبهم له على أنواع مختلفة، فتذكر القصة على النحو الذي يقع له مثله، وبذلك اختلف مساق القصة الواحدة بحسب اختلاف الأحوال، والجميع حق واقع لا إشكال في صحته"²³، وقد أورد الطاهر بن عاشور مقاصد وفوائد عشر للقصص القرآني لا يسع المقام عرضها.

ومن يتأمل قصة آدم والشيطان باعتبارها نموذجاً من القصص القرآني يجد لها مقاصد عديدة، لا تنحصر، وقد اخترناها للدراسة لأنها "ذات دلالة خاصة بين القصص القرآني كله، فهي تحدد للبشر مبادئهم ومنتهاهم ودورهم في الأرض وخطة سيرهم، والعقبات التي تقابلهم في أثناء رحلتهم، وطريقة تجنب هذه العقبات وتخطيها"²⁴، أما بعض مقاصدها فنوردها ملخصة من كتابي "التصوير الفني في القرآن الكريم" لسيد قطب وكتاب "دراسات قرآنية" لمحمد قطب، وهي كالآتي:

✓ بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين.

✓ بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفياؤه.

✓ إبراز العداوة الخالدة بين الشيطان وبين بني آدم.

- ✓ بيان قدرة الله تعالى على الخوارق، وبيان عاقبة الطيبة والصلاح وعاقبة الشر والفساد.
- ✓ بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريية العاجلة، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة.²⁵
- ✓ بيان أن الإنسان مخلوق لعبادة الله وليس له مهمة غير ذلك.
- ✓ أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن عنصرياً في حياة الإنسان عن عنصر لأحدهما ممتزجان مترابطان.²⁶

وقد ذكر المفسرون المهتمون بالمقاصد؛ أمثال الفخر الرازي (ت. 606هـ) في تفسيره "مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير" والطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" وغيرهما لقصة آدم والشيطان مقاصد أخرى، فلا شك أن البحث في مقاصد هذه القصة كغيرها من القصص، سينتهي بمقاصد أخرى، لأن البحث في مقاصد أي القرآن لا ينتهي لا سيما إذا تعلق الأمر بقصصه، لأنه مجال يتسع للتأويل.

2- ترجمة مقاصد القصص القرآني

يؤدي السياق والمقام دوراً أساسياً في تنوع واختلاف مقاصد القصة الواحدة في القرآن الكريم؛ ذلك أن لكل مقام وردت فيه القصة نفسها مقاصد علمها الناس أم جهلوا، وهو ما يدعو المترجم إلى ضرورة مراعاة مقاصد القصة في كل سياق وردت فيه خلال عمله الترجمي للقصص القرآني. فما أقسام مقاصد القصص القرآني؟ وما سبب تنوعها في القصة نفسها؟ وما مدى حضور الوعي المقاصدي عند عبد الله يوسف علي في ترجمته لمعاني القرآن الكريم؟

أ- أنواع مقاصد القصص القرآني وإشكالية ترجمتها.

يتميز القصص القرآني بخصائص دلالية وفنية، لعل أبرزها خاصية "التكرار"؛ والمتأمل لقصة آدم باعتبارها مدار حديثنا في هذا المقام - يجدها ذكرت في "سبع مواضع: أولها في سورة البقرة، وثانيها: في سورة الأعراف، وثالثها: في سورة الحجر، ورابعها: في سورة بني إسرائيل، وخامسها: في سورة الكهف، وسادسها في سورة طه، وسابعها: في "سورة ص"²⁷، والحال أن الأمر ليس تكراراً، فمقاصدها تختلف باختلاف مقامات ورودها، وما يتبع ذلك من اختلاف لأحداثها من حيث تفصيلها وإجمالها، ومن حيث ذكر بعضها في مقام دون آخر، وكذا من حيث التعبير عنها.

تحدثنا فيما سبق عن بعض مقاصد القصص القرآني، والحقيقة أن تلك المقاصد ليست إلا مقاصد عامة يشترك فيها القصص القرآني كله، ذلك أن المتدبر لقصص القرآن يجد ولا ريب مقاصد خاصة لكل قصة، بل وفي القصة الواحدة حال ذكرها في مواضع متعددة، شأن قصة آدم. ومنه يمكن تقسيم مقاصد قصص القرآني إلى مقاصد عامة وأخرى خاصة، وتنقسم الخاصة أيضاً إلى نوعين: أولها إجمالية تهتم بمقاصد كل قصة على حدة، وثانيها سياقية تلاحظ في القصة الواحدة بحسب تعدد واختلاف مقامات وسياقات ذكرها، وينقسم النوع الثاني

بدوره إلى صنفين: الأول ينفرد بمقصد كل حدث من أحداث القصة الواحدة، والآخر يعنى بمقصد كل كلمة من الكلمات التي جاء بها التعبير القرآني في ذلك الحدث.

يعتبر السياق سببا أساسا في غنى مقاصد القصص القرآني وثرائها، لاسيما النوع الثاني من مقاصده الخاصة، فسياق ذكر قصة آدم والشيطان في سورة البقرة - مثلا - يختلف عن سياق ذكرها في سورة الأعراف؛ ومن ثمة اختلفت مقاصدها في كلا الموضعين، والحال نفسه في السور الأخرى التي ذكرت فيها القصة نفسها، أو لنقل: إن اختلاف مقصد قصة آدم في سورة البقرة عن مقاصدها في السور الستة الأخرى قد كان السياق سببه الأساس، ثم يأتي التعبير القرآني من أصغر وحدة لغوية إلى أكبرها خادما ومناسبا لمقاصدها هنالك.

ذكرت قصة آدم في سورة البقرة في سياق مغاير عن سياقات ورودها في السور الأخرى، ذلك أن الآية التي قبل قصة آدم هي تمهيد للاستخلاف وشرط تحققه، "إذ الاستخلاف الناجح لا بد له من أمران:

الأول: أن يكون للخليفة حق التصرف والتدبير فيما استخلف فيه.

والثاني: أن يكون له القدرة على هذا التصرف، وأن يكون اختياره قائما على العلم بإمكانياته وقدراته على هذا الاستخلاف.²⁸

ولذلك ف"إن ذكر استخلاف آدم في الأرض لم يرد إلا في هذا المكان، ولم يرد في مكان آخر من القرآن الكريم، وهو أنسب مكان له أيضا"²⁹، لأن مقصد القصة هاهنا هو تكريم آدم، يقول صالح فاضل السمراي: "القصة في هذا الموطن في كل حلقاتها ومجالاتها مبنية في الحقيقة على تكريم آدم، وكل الجوانب الأخرى المذكورة فيها إنما تخدم هذا التكريم، فتكريم العلم إنما ظهر في العلم الذي يحمله آدم، ومسألة استخلاف إنما تدور على استخلاف آدم. فهي تدور على تكريم آدم. وكل ما فيها من ألفاظ ومواقف إنما هي على هذا التكريم"³⁰.

أما قصة آدم في سورة الأعراف، فإن سياق ذكرها مغاير لسياقها في البقرة، ولذلك جاء مقصدها مختلفا، فهو العتاب والمؤاخذه والإنذار³¹، بحيث إن القصة "وقعت في سورة الأعراف في سياق العقوبات، وإهلاك الأمم الظالمة من بني آدم، وفي سياق غضب الرب سبحانه وتعالى"³²، ثم إنه قد "وقع في قصة آدم هنا ما لم يقع في قصة البقرة من بسط ما أجمل هناك كتصريح اللعين بالحسد وتصور خيريته بخلقه من النار وطلبه الإنظار والتسلط على ذرية آدم والإذن له في ذلك ووعيده ووعيد متبعيه(...)" وكل هذا مما أجمل في سورة البقرة ولم تتكرر قصة إلا وهذا شأنها، أعني أنها تفيد مهما تكررت ما لم يكن حصل منها أولا"³³، ولم يكن هذا مقصد القصة وحدها، بل إن موضوع السورة كلها كما يذكر البقاعي (ت. 885هـ) هو الإنذار³⁴.

وإذا كان عمل المترجم - وهو يقوم بترجمة معاني القرآني الكريم - له ارتباط وثيق بالتعبير القرآني من حيث هو ألفاظ، فلا شك أنه عمليا وتطبيقيا أكثر حاجة إلى الوعي بالمقاصد الجزئية، ولا ينبغي أن يفهم من

هذا عدم أهمية المقاصد العامة في العمل الترجمي، غير أنها تلاحظ من مجمل القصص القرآني دون أن تختص بقصة دون أخرى، أما المقاصد الخاصة فتبرز أهميتها أكثر عند العمل الترجمي.

يتبين مما سلف أن مترجم القصص القرآن ينبغي أن يكون واعيا بمقاصد القصص القرآني بكل أقسامه وأنواعه المذكورة، ويزداد الأمر أهمية حين يتعلق بالمقاصد الجزئية، إذ بها تبنى المقاصد العامة، وبضياح تلك المقاصد الجزئية تضع العامة، والذي يلاحظ أن الوعي المقاصدي يزداد أهمية خلال التطبيق في المقاصد الخاصة بأنواعها، لأنها أكثر ارتباطا بمعاني الألفاظ، والتي هي مجال اشتغال المترجم، وسيتضح ذلك خلال التطبيق.

ب- تطبيقات على ترجمة عبد الله يوسف علي للقرآن الكريم.

إن مناحي اختلاف قصة آدم في القرآن الكريم من موضع لآخر كثيرة ومتعددة، وتناولها بالدرس والمقارنة في كل السور التي ذكرت فيها يستدعي بحثا آخر مستقلا، ولذلك آثرنا الاختصار هنا على سورة الأعراف مقارنة والسور الأخرى التي ذكرت فيها القصة، وصرف النظر عن الاختلافات الحاصلة في بناء القصة وأحداثها فيما بين السور الأخرى، ومن خلالها سندرس مدى حضور الفكر المقاصدي في ترجمة عبد الله يوسف علي لمعاني القرآن الكريم:

المثال الأول:

يقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾³⁵، ترجمها عبد الله يوسف علي بـ:

"And behold, **We said** to the angels: "Bow down to Adam"³⁶

يلاحظ أن ترجمة ضمير الجمع "نا" الدال على عظمة الله قد فقد هذا المقصد أثناء ترجمته بـ "we". يقول أبو الطيب صديق خان القنوجي: "وقلنا" وهو من خطاب الأكابر والعظماء أخبر به سبحانه وتعالى عن نفسه بصيغة الجمع لأنه ملك الملوك"³⁷؛ وهذا المقصد غير ملاحظ في الترجمة.

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾³⁸، ترجمها علي يوسف بـ:

"And eat of the bountiful things therein as (where and when) ye will"³⁹

ويقول عز وجل في سورة الأعراف: ﴿فَكُلُوا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ﴾⁴⁰، ترجمها علي يوسف بـ:

"And enjoy (its good things) As ye wish"⁴¹

إذ لم يميز المترجم بين الفاء والواو في الآيتين، حيث ترجمهما ب "and" رغم أن كلا منهما يؤدي مقصدا خاصا به. يقول فخر الدين الرازي: "لقائل أن يقول إنه تعالى قال هاهنا: "وكلا منها رغدا"، وقال في الأعراف: "فكلا من حيث شئتما" فعطف "كلا" على قوله: "أسكن" في سورة البقرة بالواو وفي سورة الأعراف بالفاء، فما الحكمة والجواب (...). عطف كلوا على قوله اسكنوا بالواو دون الفاء لأن اسكنوا من السكنى، وهي مقام مع طول اللبث والأكل لا يختص وجوده بوجوده، لأن من دخل بستانا قد يأكل منه وإن كان مجتازا فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجزء بالشرط وجب العطف بالواو دون الفاء"⁴². كما أن ترجمة لفظ "كلا" ب "enjoy" في سورة الأعراف فقد بعض مقاصد الأكل من الآية، ولا يدل دلالة صريحة على معنى الأكل. يقول الطاهر بن عاشور: "ومعنى الأكل من الجنة من ثمرها لأن الجنة تستلزم ثمارا، وهي مما يقصد بالأكل ولذلك تجعل (من) تبعية لتزيل بعض ما يحويه المكان منزلة بعض لذلك المكان، وفي جعل الأكل من الثمر للأحوال آدم وزوجه، حيث إنشأوها تنبيه على أن الله جعل الاقتيات جبلة للإنسان لا تدوم حياته إلا به"⁴³.

المثال الثالث:

يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾⁴⁴، وترجمها يوسف علي ب:

"Then learnt Adam from his Lord words of inspiration, and his Lord **Turned** towards him; for He Is **Oft-Returning**, Most Merciful."⁴⁵

يلاحظ عند تأمل الآية أن ترجمة يوسف علي فقدت المقصد منها؛ حيث "اكتفى الله تعالى بذكر توبة آدم دون توبة حواء، لأنها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في القرآن والسنة لذلك"⁴⁶، إذ أن فعل "تاب" ترجمه ب "التفت"، والالتفات غير خاص بأحدهما عن الآخر، فقد يلتفت إليهما معا، أضف أن الالتفات لا يؤدي مقصد التوبة .

المثال الرابع:

السورة	الآية	الترجمة
الأعراف	﴿ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ٦٦ ﴾ ⁴⁷	"He said: " Because Thou Hast thrown Me out of the Way, lo! I will lie in wait For them on Thy Straight Way:" ⁴⁸
الحجر	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَعُوذُ بِهِمْ أَجْمَعِينَ ٣٣ ﴾ ⁴⁹	"(Iblis) said: "O my Lord! because Thou Hast put me in the wrong, I will make (Wrong) fair-seeming to them on the Earth, and I will put them all in the Wrong" ⁵⁰

يلاحظ من خلال المقارنة بين ترجمة الآيتين أن بعض الدلالات قد فقدت لما تغيرت ترجمتهما، وهو ما جعل بعض مقاصد كلا الآيتين تضع، ويظهر ذلك حين ترجم لفظي "فبما" و"بما" بنفس اللفظ "because"، رغم أن اللفظين يختلفان دلالة ومقصدا؛ في حين ترجم لفظة "أغويتني" بلفظين مختلفين: مرة بـ "Thou hast thrown me out of the way"، وفي الآية الأخرى بـ: "Thou hast put me in the wron" رغم أن السياق لا يستدعي ذلك؛ فالمقصد من الإغواء في الآيتين هو نفسه، أضف إلى ذلك ما ضاع من المقاصد في ترجمة لفظي "لأقعدن" و"لأزين".

المثال الخامس:

يقول الله تعالى في الآية 117 من سورة طه: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، وقد ترجمها على يوسف بـ:

"This is an enemy to thee and thy wife: so let him not get you both out of the Garden, **so that thou art landed** in misery."⁵¹

يبدو أن المترجم في هذه الآية كان واعيا بمقصد تحديد وتخصيص الشقاء لآدم بوحده دون إشراك المرأة، فجاءت الترجمة حاوية له؛ يقول الطاهر بن عاشور: "وأسند ترتب الشقاء إلى آدم خاصة دون زوجته، لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون مع الإيماء أن شقاء الذكر أصل شقاء المرأة"⁵².

يقول خان القنوجي: "فتشقى الشقاء والعسر (...)" ولم يقل فتشقى لأن الكلام من أول القصة مع آدم وحده وأن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله، كما أن في سعادته سعادتهم لأنه القيم عليهم، أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت، وذلك علة الرجل دون المرأة لأن الرجل هو الساعي على زوجته"⁵³.

لقد اتضح من خلال الأمثلة السالفة أهمية الفكر المقاصدي في ترجمة معاني القرآن الكريم، إذ تبين من ترجمة عبد الله يوسف علي أهمية الوعي بمقاصد الآيات القرآنية، وأن عدم استحضارها في الترجمة يفقد الآيات بعض مقاصدها إن لم نقل كلها كما تدل على ذلك الأمثلة التطبيقية المدروسة، التي أفقدت في ترجمتها دلالات كثيرة ضاعت معها مقاصدها، وهذا لا يعني غياب الوعي المقاصدي لدى المترجم البتة، وإنما لم يكن واضحا وحاضرا بالشكل المنشود والمتحقق الذي يجعل الآيات تحتفظ بمقاصدها.

ويمكن إجمال هذه النماذج الأربعة في الجدول الآتي:

السورة	الآية	الترجمة	حجم الضياع
البقرة الأعراف	"وَكُلَا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا" "فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا"	And eat And enjoy	ضياع المقصد عند المقارنة
البقرة	"فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"	Turned..... Oft- Returning	ضياع المقصد
البقرة الحجر	"قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي" "قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي"	: "Because thou hast Thrown me out of the Way, lo! Because Thou hast put Me In the wrong	ضياع المقصد عند المقارنة
طه	فَتَشَقَّى	So that thou art Landed in misery.	عدم ضياع المقصد

خلاصات ونتائج:

كان الهدف من هذا البحث بيان أهمية الفكر المقاصدي في ترجمة معاني القرآن الكريم، ومنه انتهى إلى مجموعة من الخلاصات والنتائج، أهمها:

- أهمية السياق في تغير وتنويع مقاصد القصة القرآنية الواحدة.
- تنقسم مقاصد القصص القرآني إلى قسمين تتفرع عنهما أنواع أخرى، ومن ثمة ضرورة مراعاة المترجم لهذه الأقسام وأنواعها لا سيما الخاصة منها.
- التعبير القرآني في القصة يأتي مناسبا لمقاصدها، فوجب لذلك ضرورة وعي المترجم بتلك المقاصد.
- يستطيع المترجم باستحضار الفكر المقاصدي تجاوز بعض صعوبات وأخطاء ترجمة القصص القرآني.
- ضرورة حرص مترجم القصص القرآني على نقل كل دلالات التعبير القرآني في كل آية؛ لأن المقاصد مرتبطة بها، والألفاظ وعاء لها، وبضياع الدلالات تضيع المقاصد.

- تظافر أحداث القصة والتعبير القرآني عنها لتأدية مقاصدها في كل موضع يؤكد عدم صواب استحضار المترجم ما غاب في القصة من أحداث في كل موضع من مواضع ورودها في القرآن الكريم.
- إعادة بعض أحداث القصة الواحدة في القرآن الكريم لا يعني تكرارها بل أداء لمقاصد أخرى.

الهوامش:

- ¹ - نظرية المقاصد عند الطاهر بن عاشور: 37
- ² - مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: 3
- ³ - نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: 7
- ⁴ - البحث في مقاصد الشريعة: نشأته وتطوره ومستقبله: 4
- ⁵ - نفسه: 18
- ⁶ - فقه العلم في مقاصد الشريعة: 55
- ⁷ - المدخل إلى مقاصد القرآن: 24
- ⁸ - البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره ومستقبله: 22
- ⁹ - "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي": الريسوني، 26 - 55، و"فقه العلم في مقاصد الشريعة": إسماعيل الحسني، 55..
- ¹⁰ - نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: 313
- ¹¹ - نفسه: 143 - 144
- ¹² - الموافقات: 2 / 17 - 18
- ¹³ - نفسه: 21/2
- ¹⁴ - نفسه: 22/2
- ¹⁵ - نفسه: 300/2
- ¹⁶ - نفسه: 302 / 2 - 303
- ¹⁷ - مقاصد الشريعة الإسلامية: 165
- ¹⁸ - نفسه: 404
- ¹⁹ - مقاصد القرآن من تشريع الأحكام: 32
- ²⁰ - التحرير والتنوير: 1 / 38 - 39
- ²¹ - مقاصد القرآن من تشريع الأحكام: 29
- ²² - نفسه: 29
- ²³ - الموافقات: 4 / 274
- ²⁴ - دراسات قرآنية: 114
- ²⁵ - التصوير الفني في القرآن: 151
- ²⁶ - دراسات قرآنية: 117 - 126

- 27 - التفسير الكبير: م 26/14/7
- 28 - التعبير القرآني: 287 - 288
- 29 - نفسه: 277
- 30 - نفسه: 288
- 31 - نفسه: 292
- 32 - نفسه: 288 والآيات هي: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿١﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢﴾﴾ الأعراف [4-5].
- 33 - نظم الدرر في تناسب السور: 353/7
- 34 - نفسه: 7 / 266
- 35 - البقرة: 34
- 36 - *The Meaning of THE HOLY QUR'AN*: 25
- 37 - فتح البيان في مقاصد القرآن: 134/1
- 38 - البقرة: 35
- 39 - *The Meaning of THE HOLY QUR'AN*: 25
- 40 - الأعراف: 19
- 41 - *The Meaning of THE HOLY QUR'AN*: 348
- 42 - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: م 5 / 3/2
- 43 - التحرير والتنوير: م 430/2/1
- 44 - البقرة: 37
- 45 - *The Meaning of THE HOLY QUR'AN*: 26
- 46 - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: م 27/3/2
- 47 - الأعراف: 16
- 48 - *The Meaning of THE HOLY QUR'AN*: 348
- 49 - الحجر: 49
- 50 - *The Meaning of THE HOLY QUR'AN*: 626
- 51 - *The Meaning of THE HOLY QUR'AN*: 788
- 52 - التحرير والتنوير: م 7/ج 16/321-320
- 53 - فتح البيان في مقاصد القرآن: ج 8/ 285

المراجع:

1. استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية: محمد بوعزة، ط.1، دار الأمان - الرباط، د.ت.
2. البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره ومستقبله: الريسوني، (مقال لم ينشر بعد)
3. التأويل بين بورس ودريدا: أمبيرتو إيكو، تر. وتق. سعيد بنكراد، م. علامات، ع.11، 199.
4. التأويل عند ابن تيمية: فريدة زمور، م. علامات، ع.11، 1999.
5. التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات: محمد بازي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ط.1، 1431هـ - 2010م.
6. التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، د.ت.
7. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ط. 16، دار الشروق، القاهرة - مصر، 1423هـ - 2002م.
8. التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، ط.7، دار عمار، عمان - الأردن، 1432هـ - 2010م.
9. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، د. ط، المكتبة التوفيقية - مصر، د.ت.
10. تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي: محمد بازي، ط.1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، 1431هـ - 2010م.
11. التلقي والتأويل مقارنة نسقية: محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ط.1، 1994م.
12. التواصل والخطاب الاستعاري: النماذج النظرية والآليات التأويلية: إبراهيم أسيكار، دكتوراه نوقشت سنة 2013 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكادير
13. جامع البيان عن تأويل أي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تح. أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر، د. ط، دار ابن الجوزي - القاهرة، د.ت.
14. جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية: محمد أحمد لوح، دار ابن عفان، رسالة جامعية.
15. الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية: نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، إريد - الأردن، ط.1، 2012م.
16. دراسات قرآنية: محمد قطب، د. ط، دار الشروق - بيروت، د. ت.
17. دفاعا عن التأويل المضاعف: جانان كالر، تر. س. ب، م. علامات، ع.11، 1999.
18. السميائيات والتأويل مدخل لسميائيات ش. س. بورس: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط.1، 2005.
19. عن الترجمة وتحليل الخطاب: أحمد الفوحي، م. علامات، ع.7، 1997م.
20. فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب صديق خان القنوجي، د. ط، وزارة إحياء التراث الإسلامي - قطر، 1410هـ / 1989م.

21. فقه العلم في مقاصد الشريعة: الأعلام - المجالات - المفاهيم: إسماعيل الحسني، ط.1، المطبعة والورقة الوطنية - مراكش، 2004م.
22. في ظلال القرآن: سيد قطب، ط. 38، دار الشروق - القاهرة، 1430هـ-2009م.
23. الفيلولوجية والتأويلية: أنطوان كامبانيون، تر. محمد الوالي، م. علامات، ع.11، 1999م.
24. قانون التأويل: أبو حامد الغزالي، تح. محمد ديبجو، ط.1، د. د. م، 1413هـ-1993م.
25. قانون التأويل: محمد بن عبد الله بن العربي، تح. محمد السليمان، ط.2، دار الغرب الإسلامي، 1990م.
26. القصة في القرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، ط.1، نهضة مصر، د.ت.
27. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل تأملات: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، ط. 4، دار القلم - دمشق، 1430هـ-2009م.
28. كيف نتعامل مع القرآن العظيم: يوسف القرضاوي، ط. 6، دار الشروق، القاهرة - مصر، 2007م.
29. المدخل إلى مقاصد القرآن: عبد الكريم حامدي، ط.1، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1428هـ-2008م.
30. المعنى بين التعددية والتأويل الأحادي: سعيد بنكراد، م. علامات، ع. 13، 2000م.
31. المعنى القرآني بين التفسير والتأويل دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني: عباس أمير، ط.1، الانتشار العربي، بيروت - لبنان، 2008م.
32. مفهوم التأويل لدى كادامير: سيدي عمر عبود، م. علامات، ع. 14، 2000.
33. مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر ابن عاشور، تح. محمد الحبيب ابن الخوجة، د. ط، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، 1425هـ/2006م.
34. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علال الفاسي، د. ط، د. م، د.ت.
35. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف حامد العالم، د.2، دار الأمان - الرباط، 1414هـ/1993م.
36. مقاصد القرآن من تشريع الأحكام: عبد الكريم حامدي، ط.1، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، 1429هـ-2008م.
37. الموافقات: الشاطبي، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، تح. أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، ط.1، دار ابن عفان للنشر والتوزيع - السعودية، 1417هـ - 1997م.
38. النص المتعدد: رولان بارت، تر. س. ب. م. علامات، ع. 13، 2000.
39. النص والتأويل: بول ريكور، تر. عبد الحي أزرقان، م. علامات، ع.11، 1999.
40. النظرية التأويلية للترجمة: ماريا ليديريز، تر. عبد السلام فزازي، م. علامات، ع. 8، 1997م.
41. نظرية التقابل التأويلي؛ مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب: محمد بازي، ط.1، دار الأمان - الرباط، 2013م.

42. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: أحمد الريسوني، ط.1، دار الآمان، الرباط - المغرب، 1424هـ - 2003م.
43. نظرية المقاصد عند الإمام الطاهر بن عاشور: إسماعيل الحسني، ط.1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، 1416هـ/1995م.
44. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين ابن عمر البقاعي، ط.1، د. د. م، 1389هـ - 1969م.
45. الهرمنيوطيقا وعلم التفسير بحث مقارن: محمد بهرامي، سلسلة الدراسات القرآنية، ع. 2، دراسات في تفسير النص القرآني، ج.1، مركز الحضارة للتنمية الفكر الإسلامي - بيروت، ط.1، 2007م.
46. The Meaning of The Holly Qura'an: Abdullah Yusuf Ali.(2001). 11th Edition Maryland: Amana publications.